العرب
الخميس 2020/10/08
السنة 43 العدد 11844

الشروط الأميركية الجديدة في المنطقة

بهاء العوام
صحافي سوري

لم يكلف رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري نفسه بذكر أي شيء عن فلسطين وهو يعلن نية بلاده التفاوض مع إسرائيل لترسيم الحدود معها. رغم أن الترسيم يعني الاعتراف بدولة الاحتلال، وتوقيع اتفاق سلام معها. أو على الأقل توقف "المقاومة" عن التهديد برميها في البحر كلما خطب أحد فرسانها بأنصاره المصدقين بكذبتهم.

لم تخرج إيران ولا حزب الله ولا تركيا ولا قطر ولا جماعة الإخوان ولا السلطة الفلسطينية لتقول إن إعلان بري يمثل طعنة في ظهر القضية. مر الأمر وكأن لبنان سيفاوض صديقا أو جارا وليس العدو الذي تتنطح "المقاومة" بتهديده ليل نهار، وقد احتلت طهران أربع عواصم عربية بحجة محاربته وتحرير القدس من براثنه.

بري ومن خلفه حزب الله وإيران، لم يشترطوا على إسرائيل ترسيم حدودها مع فلسطين قبل ترسيم حدودها مع لبنان. لم يطالبوها بالقدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطين، أو بوقف خططها لضم مناطق الضفة الغربية والأغوار، ولا حتى بإعادة هضبة الجولان السورية رغم أن نظام بشار الأسد "يقاتل" معهم في خندق واحد.

بين ليلة وضحاها تخلى فرسان "المقاومة" عن كل شيء. لم يعد هناك ما يحول دون السلام مع إسرائيل. ولا يوجد ما يمنع التفاوض معها برعاية "الشيطان الأكبر" الولايات المتحدة. وهو ذات الراعي الذي احتضن سلام دولتي الإمارات والبحرين مع تل أبيب، واعترض عليه مدعو "المقاومة" والمتاجرون بالقضية الفلسطينية.

مفاوضات ترسيم الحدود

ستجريها الدولة اللبنانية بعد أن سمح لها حزب الله بالحديث عن نفسها. أبقاها رهينة سلاحه لسنوات طويلة بذريعة المقاومة، وعندما أراد إرضاء الولايات المتحدة سمح للرئاسة والجيش بالتفاوض مع إسرائيل. فيما أبقى الحكومة مكبلة حتى ينتهي الإيرانيون من التفاوض حولها مع الفرنسيين والأميركيين.

لم تكن خطوة بري مفاجئة. لقد مضى أكثر من عام على بدء ضغوطات الولايات المتحدة في هذا الاتجاه. الثنائي الشيعي راوغ في الأمر بقدر ما أرادت إيران من الوقت، ولكن يبدو أن حسابات الخمينيين في طهران قد تغيرت الآن. تبدلت المعادلات السياسية في المنطقة، ولا بد من التكيف مع هذه المتغيرات بمرونة وتنازلات أكثر.

مفاوضات لبنان مع إسرائيل هي حوار الثنائي الشيعي معها، وبدقة أكثر حوارهما نيابة عن طهران. بهذه الطريقة تفضل إيران التقرب من الولايات المتحدة. ترفض الجلوس معها على طاولة المفاوضات المباشرة، فيما تمد لها يد المحادثات السرية عبر قنوات عدة، ولا تمانع أبدا تقديم تنازلات جوهرية من خلال هذه القنوات.

يمكن قراءة المشهد بطريقة أخرى. حان الوقت لاستخدام إيران أوراقها في المنطقة للحوار مع أميركا. تبادر طهران بتقديم التنازلات عبر أذرعها وميليشياتها في المنطقة، وعندما ترد واشنطن الجميل تبدو طهران وكأنها خرجت منتصرة في معركة الحصار المفروض عليها. فهي لم تصافح ولم تفاوض ولم تستسلم أمام الكاميرات.

حتى لو كان الأمر كذلك، فقد أحسنت الإدارة الأميركية الحالية بالضغط على إيران حتى أجبرتها على إعادة النظر في عنجهيتها الجوفاء. لا يوجد تنازل يمكن أن تقدمه طهران أكبر من أن تدفع بحزب الله اللبناني إلى إبرام سلام مع إسرائيل، ومن ثم تسهل للأخيرة إبرام سلام مشابه مع "الأسود" في دمشق، وحركة حماس في غزة.

ثمة تسريبات تتحدث عن مشروع سلام بين النظام السوري وإسرائيل تتوسط فيه روسيا وتغض إيران الطرف عنه. عمليا لن يضيف هذا السلام شيئا للهدوء الذي تتمتع به جبهة الجولان. ولكنه سيدفع بالخمينيين أكثر نحو خيارين أحلاهما مر كما يقال، إما التفاوض مع الولايات المتحدة وإما تسليم مفاتيح بلادهم للصينيين والروس.

السلام الذي أبرمته الإمارات وإسرائيل هو من فتح الباب أمام تعدد الخيارات. هو من كسر استعصاء رفع هيمنة إيران على الشرق الأوسط وخلق إمكانية رسم خارطة جديدة للعلاقات بين دوله. لقد خطت الإمارات أول خطوة، والدول التي لحقتها أو تدرس اللحاق بها تدرك جيدا أن المنطقة مقبلة على تغييرات كبيرة لم تعرفها من قبل.

ولا شك أن إيران تستشعر المتغيرات المقبلة، ولن تقبل بألا تكون جزءا منها، أو أن تأتي على حساب مصالحها. لكن هذا يتطلب منها إعادة حساباتها ودراسة مستقبلها على أسس جديدة. وكأول خطوة في هذا السياق لا بد لنظام الخميني من مصارحة نفسه، والإجابة على أسئلة كبيرة آن أوان استحقاقها المؤجل أو المعلق.

من بين الأسئلة التي تلح على الخمينيين اليوم، هي كيف يمكنهم الاستمرار في حماية أذرعهم ووكلائهم في المنطقة؟ إلى أي مدى يمكنهم مواصلة هيمنتهم على العراق وسوريا ولبنان واليمن إذا ما فاز دونالد ترامب بولاية رئاسية ثانية؟ ما الذي يعنيه أن تبرم دول المنطقة الواحدة تلو الأخرى سلاما مع "عدوتهم" إسرائيل؟

يمكن للإيرانيين أن يدعوا التعفف عن المصالحة مع أميركا بقدر ما يشاؤون. ولكن الحقيقة أنهم يتوقون إليها أكثر من أي شيء آخر. المشكلة بالنسبة لهم أن ترامب لا يريد توزيع أي مكافآت على طهران نظير ضبط برامجها النووية والصاروخية. كما أنه وضع شروطا جديدة لتوزيع الأدوار وإبرام التحالفات في المنطقة.

إعلان المفاوضات بين إسرائيل ولبنان يعكس قبول إيران بالشروط الأميركية الجديدة. ومن أبرز هذه الشروط، وقف أي دولة عن ترهيب جوارها بالميليشيات المسلحة. رفع وصاية الخمينيين عن سوريا ولبنان والعراق واليمن. عدم استهداف المصالح الاقتصادية الدولية، والتعامل مع وجود أميركي دائم في الشرق الأوسط.

من بين الشروط أيضا أن يسقط تصنيف إسرائيل كعدو وحيد في المنطقة. فقوائم الأصدقاء والخصوم ستعد من الآن فصاعدا على أساس التحالفات والمصالح. لن تبقى إسرائيل شماعة الخمينيين لاحتلال دول عربية. ولا ورقة ابتزاز لشعوب المنطقة يستغلها أي طرف كان. وفق هذه الشروط أطلق لبنان مفاوضات ترسيم الحدود مع إسرائيل. وبهذه الشروط أبلغ وأفهم علنا كل من يسمع ويرى ويتكلم في المنطقة.

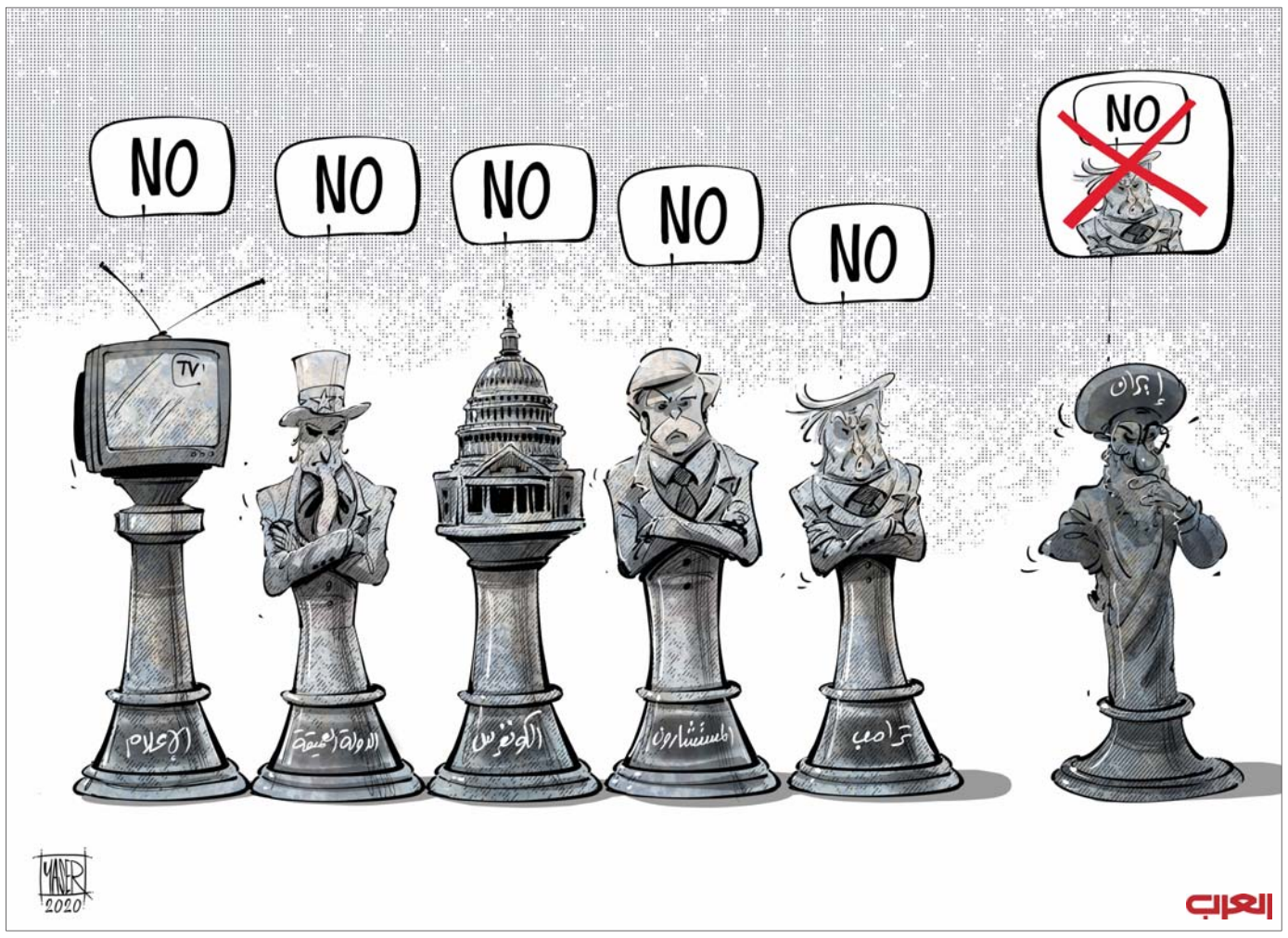

إيران بانتظار بايدن، والوهم إذا تبدد

علي الصراف
كاتب عراقي

هب جدلا أن المرشح الديمقراطي للانتخابات الرئاسية جو بايدن هو الذي فاز بالبيت الأبيض. فما الذي يمكن لذلك أن يعنيه بالنسبة لإيران؟

الوهم المجرد هو ما يدفع طهران إلى أن تضع أملها على هزيمة دونالد ترامب. ربما لأنها تعتقد أن "الإدارة الأميركية" مثل "الإدارة الخمينية" يقودها مرشد أعلى، يتحكم بكل شيء، ويقود غلمانا.

الرئيس الأميركي، من دون أدنى شك، يمتلك صلاحيات إدارية واسعة. إلا أنه مقيد إلى أبعد الحدود أيضا.

القيود تبدأ من مستشاريه أولا. فهؤلاء غالبا ما يكونون من أهل الخبرة، الذين يقدمون للرئيس آراء مفعمة بالحساب والتدقيق. وهناك بينهم من يمكن أن يعارض الرئيس، ويجرؤ على تقديم رأي مختلف. ويتعين على الرئيس، رغم أنه صاحب القرار الأخير، أن يتمعن في آراء مستشاريه، ويسند قراره إلى مبررات جديرة بالاعتبار.

وهناك الكونغرس. التشريعات والقوانين يتم إعدادها وإقرارها هناك، وليس في البيت الأبيض. والنافذ منها يظل نافذا ما لم يتم طرح بديل عنه. وهناك سلسلة طويلة من الإجراءات التي يتعين الأخذ بها قبل أن يتم تغيير أي قانون.

وهناك "الدولة العميقة"، وهي جيش جرار من المدنيين والعسكريين الذين يشكلون قوة تأثير كبرى في صنع القرار وتوفير أدوات تنفيذه.

كما أن هناك الصحافة ومؤسسات التفكير التي تضم مراكز أبحاث مؤثرة، وهي سلطة رابعة، لعرض المخاطر وبناء الاستراتيجيات وتفحصها والتدقيق في عواقبها. حتى أنها تلعب دورا كبيرا في صناعة القرار، أو حتى زراعة بذوره الأولى.

وهناك أيضا حلفاء واشنطن، في الأطلسي وأوروبا والمنطقة، وهؤلاء قوة تأثير هائلة أيضا. صوتهم مسموع، ولا يمكن القفز من فوق مشاغلهم وحساباتهم.

أين يمكن لإيران أن تضع اتفاقها النووي حيال البنية المؤسسية لصنع القرار في الولايات المتحدة؟

واشنطن خرجت من الاتفاق النووي لأسباب. هذا أمر أصبح منتهيا أصلا. وإذا شاء جو بايدن أن يعود إليه، فإنه مُلزم بالنظر في الأسباب.

هذه الأسباب تكتسب قوة من نفسها ولا يمكن شطبها. ولقد تراكمت مفاعيلها إلى درجة أنه لم يعد بالإمكان التغاضي عنها وعن العواقب التي نجمت عنها.

إيران التي تتحكم بمصير العراق ولبنان واليمن وسوريا عن طريق ميليشيات فساد وجرائم وتخريب، دفعت هذه الميليشيات لتكون أداة تهديد مباشر للمصالح الأميركية.

هذا الأمر يوفر دافعا قويا، بل قاهرا، يُجبر أي إدارة أميركية على النظر في "الدور المزعزع للاستقرار" الذي تقوم به إيران في المنطقة. وهو ما لم يلحظه الاتفاق النووي بنسخة عام 2015.

وفي الواقع فقد وفرت تلك النسخة، هي بحد ذاتها، المجال لكي تلعب إيران دورها التخريبي في المنطقة، بكل ما تمت وراثته من عواقب، ليس على المستويين السياسي والاستراتيجي وحدهما، وإنما على المستوى الإنساني أيضا.

الصواريخ الباليستية الإيرانية أثبتت أنها تهديد للأمن والاستقرار الإقليميين، بكل ما يعنيه ذلك من تهديدات لأمن الملاحة في الخليج العربي وإمدادات النفط إلى العالم. وهذا مما لم يعد بالإمكان تجاوزه.

وبالهجوم على منشآت أرامكو في السعودية، قدمت إيران دليلا على طبيعتين متلازمتين: الجرأة على ارتكاب الجريمة، والتنكر لها على نحو جبان. وهو أمر لا يستطيع أي رئيس أميركي، ولا أي زعيم في العالم، أن يتجاهله، فقط من أجل أن يعود إلى اتفاق نووي ثبت أنه ناقص وعاجز.

ولقد اهتبلت إيران كل الفرص، هي بنفسها، لكي تبرهن أن الاتفاق النووي الذي وقعته مع إدارة الرئيس أوباما عام 2015، لم يعد قائما. فقد خرقته وخرقت التزاماتها فيه مرة بعد مرة.

فهل يمكن للرئيس بايدن أن يتجاهل كل هذه الاعتبارات أو أن يشطب كل القوانين والتشريعات ويلغي العقوبات على إيران هكذا بجرة قلم؟ ومن أجل ماذا؟ أحبا في عمى عين الولي الفقيه، أم إيمانا بقدراته الخارقة؟

وفي الواقع، فثمة ما يبرر الاعتقاد بأن الرئيس ترامب، بارتجاليته، وتقلباته، ومزاجيته، يمكن أن يكون أكثر فائدة لإيران من منافسه. إذ لم يمض وقت طويل قبل أن يقول إن إيران تريد أن تتحاور معه، وإنه طلب التأجيل، وإنه سيجعل من إيران أغنى بلد في العالم.

يمكن للمرء أن يكون غبيا. هذا من حق كل مسؤول إيراني. ولكن ليس إلى

> **إيران كشفت للعالم وللمنطقة ولشعبها نفسه أنها نظام تهديد وتخريب وهي لم تضع قدمها في مكان إلا وكان سفك الدماء والفساد هما الشيء الوحيد التالي وهذا أمر يتعلق بطبيعة نظامها**

الحد الذي يرهن نظام الولي الفقيه مصيره ومصير 80 مليونا من مواطنيه على أوهام لا مكان لها من الإعراب، ولا تتوفر لها أدنى فرصة.

لقد كشفت إيران للعالم، وللمنطقة، ولشعبها نفسه، أنها نظام تهديد وتخريب. وهي لم تضع قدمها في مكان إلا وكان سفك الدماء والفساد هما الشيء الوحيد التالي.

وهذا أمر يتعلق بطبيعة نظامها بالذات. وهو ليس شيئا عابرا أو وقع عن طريق الخطأ أو بالصدفة.

العدوانية حيال الآخرين، والسعي لفرض الهيمنة، والهمجية الميليشياوية، والتمزيق الطائفي، ومناهج التطرف المذهبي المتوحشة، هي إيران اليوم. وهي إيران الخميني. إنها كيان ليس بدولة أصلا. وهي لا تحترم قيما، ولا معايير أخلاقية أو دينية أو قانونية، بل إنها مجرد منظمة رعاع، همج، يغلّفون جرائمهم بمعتقدات خرافية لا علاقة لها بأي دين، ويريدون التوسع على أساسها.

إذا كانت هناك عقوبات، فسببها هو هذا. وما من رئيس سيأتي إلى البيت الأبيض إلا ويكون ملزما في النظر إلى السبب.

هذا الكيان العدواني، بحكم طبيعته، يملك أحد خيارين: إما أن يعقل ويتصرف كدولة، وهذا أقرب إلى المستحيل، وإما أن يبقى محاصرا حتى يسقط، سواء بقي ترامب أو جاء بايدن. ولا أحد فيهما يعتزم أن يقدم خدمات مجانية لإيران، أو أن يغض الطرف عن تهديدات ميليشياتها. وهي تهديدات تتصل مباشرة بأمن أطراف لا يمكن لأي رئيس أن يتخذ قرارا بمعزل عنها.

فإذا كان الرئيس أوباما نجح في خداع نفسه، وخداع العالم، باتفاقه النووي، فجولة الخداع انتهت الآن. ويستطيع الرئيس المقبل أن يرى بنفسه كيف انتهى ذلك الاتفاق إلى كارثة متعددة الأوجه والأبعاد.

وملفات الجرائم الإيرانية الأخرى، كثيرة أيضا، ومنها أعمال الإرهاب التي تشنها خلاياها النائمة ومأجوروها ودبلوماسيوها في مختلف أرجاء العالم. وهذه قضايا لا تزال تنتظر الفصل فيها. وما تم الفصل فيه، من خلال بعض المحاكم، فلا يزال يتعين دفع التعويضات عنه.

العدوانية الإيرانية هي سبب العقوبات. لا شيء آخر. وعندما تزول الأولى، تزول الثانية.

والعدوانية هي نظام الجمهورية الخمينية، وهي هويته وطبيعته التي لا يملك طبيعة سواها، الأمر الذي يجعل من إسقاطه طريقا ذا ممر واحد، لا يملك أي رئيس أميركي أن يسلك سواه.